قصة قصيرة

البرج المهجور

أميرة بدر

البرج المهجور

أميرة بدر

قصة:-البرج المهجور.

النوع:- قصة قصيرة من فئة الرعب.

تأليف:- الكاتبة أميرة بدر.

تصميم غلاف:- أميرة بدر.

تصميم داخلي وتنسيق وتعبئة:- أميرة بدر.

تم نشر القصة ورقيًا ضمن المجموعة القصصية«أنت الخوف ذاته» عن دار يوريكا للنشر والتوزيع.

«البرج المهجور»

ضربَ الظلام أطنابَ المكان فتصلَّبَ جسدي رُعبًا، عندها استجمعتُ ما تبقى مِن قوايّ وأطلقتُ رأسي في الأفق أنظر مِن فوقِ البرج المهجور، إذ بكائنٍ يظهر في جُنح الليل بعينينِ تشتعلانِ جمرًا، وجناحين هائلين، ارتعدتُ وأنا أراقبهُ يلتفَّ حول جسدها، وينقضّ عليها انقضاض السبع على فريسةٍ ساقها القدر بين براثن فكيه.

غرس أنيابهُ الحادة في رقبتها ففصلها عن جسدها لتتطاير الدماءُ مُتناثرة في الهواء، كالنافورة التي تتفجرُ بالماء، فيما انشقَّ الهواء ليخرج منه كائناتٍ أخرى تحملُ ذاتَ الهيئة، وربما أكثر فتكًا وشراسةً منه، انطلقتْ كالسهام تخترق كل ذرةٍ من جسدها الذي شارف الوصول إلى مستقرهِ في الأرض لتعلو بهِ مرة أخرى إلى الفضاء الفسيح، يتعاركوا فيما بينهم أيهما يفوز بقطعةِ لحمٍ ليصبح جسدها مستقرًا هذه المرة في أحشائهم.

إنه الهلاك!!

كنتُ أقفُ متشبثةً بعمودٍ حديدي، فوقَ قمة برجٍ دعتني للصعود إلى قمتهِ «مايا» صديقتي الوحيدة، فتاةٌ امتزجَ بداخلها خليطٌ عجيب مِن القوة والكبرياء والتحدي، تقهر الحزن، وتتحدى الصعاب، وتتغلب على الخوف في أحلك المواقف!

علمتني أول درس في رحلة تحدي الخوف، أنَّ لا شيء يستحق أن يعبث بأرواحنا حتى الموت!

كانت البسمة تملأ قسمات وجهها طوال الوقت، وأنا أراقبها منتفضةً خوفًا وهلعًا، أزفرُ أنفاسي في تواترٍ كما المرأةِ الحامل الذي أتاها المخاض.

عندما وصلنا لأرض النسيان سألتها أن نعود، واستحلفتها أن نمضي فلا شيء يدعو للإطمئنان في هذا المكان، لكنها تمردت على خوفها وتغافلت عن خوفي وانطلقت في طريق الولوج إلى مكان البرج المهجور، لم تعر لتوسلاتي أي اهتمام، كنتُ أتبعها مُرغمة، وما أن بدأت معالم البرج تظهر من بعيد، أشرقتْ في حماسٍ، وأضحت تركض بسرعةٍ أكبر، تبعتها إلى أن وصلنا قاعدتهُ الصدئة، كان شاهقًا يصلُ عنان السماء، ببنيانٍ شامخٍ رغم الصدأ الذي

تلحفَ به من كل جانب، لكن علامات الجمال أبت أن يمحوها الزمن، فظلت بارزة خلف ستائر الصدأ!

حين وضعت أول قدمٍ لى على سلمهِ المهتريء شعرتُ بجسدي يثقل، وأنه فالتني لا محالة، كانت روحي مخدَّرةٌ تسحبني للأسفل، ولكن أتاني صوتها من بعيد:

- هيا يا «نور» انطلقي!

- لا أستطيع، أنا ارتجفُ من شدة الخوف!

- لا تنظري للأسفل، فقط اشحذي قوتكِ للصعود للأعلى.

كانت تسبقني بعدة أمتارٍ، صرنا في منتصف البرج تقريبًا سألتها مترددةٍ:

- كم يبلغ طول هذا البرج، أعتقد أن لا نهاية له!

ضحكت وهي تنظر إليّ ممسكةً السلم بيدٍ واحدة:

- طوله حوالي «250» مترًا تقريبًا.

صدمتني، ليس لأن البرج شاهق الطول فحسب، وإنما عدم اكتراثها وكأنها تتأرجح على حافة الهاوية بسلاسةٍ ونعومة!

جميلٌ حقًا أن تظفرَ بصديقٍ يُربت على قلبكَ وقت الضيق، بل ويمدك بيد العون لينتشلكَ من عالمكَ ويزرعكَ في عالم نقي جديد!

- أنتِ مجنونة ومتهورة!

- وماذا عنكِ؟

ضحكتُ بسخرية وقلتُ لها:

- مَن يُطاوعكِ هكذا مسلوب الإرادة، أجنُ منكِ بكل تأكيد.

واصلتُ الصعود لقمة البرج وقلبي يختلجُ في حماسٍ داخل صدري، تحدٍ عجيب لم أجرؤ يومًا على خوضهِ أو حتى يصل لتفكيري عبوره، كانت بين الفينة والأخرى تنظر إليّ تراقب موضعي لأين وصلت، تضحك بصوتٍ عالٍ وتقول:

- هيا انطلقي، شارفتِ على الوصول.

يا لها من حمقاء مجنونة.

استرقت النظر وأنا أمسكُ في سلم البرج الحديدي بكلتا يديّ وألقيتُ نظرةً إلى الأسفل، فهالني ما رأيت، إنه بعيد بعيد بعيد، يا إلهي!

وصلت «مايا» إلى قمة البرج، وراحت تدور حول نفسها تنظر في انبهارٍ، صاحت عدة صيحات شملت سعادة الجندي الذي أعلن انتصار جيشهِ، لمسني قسطّا من حماسها فحملني لأن أسرع في الصعود.

كم تمنيت أن أحظى بنصيبها مِن دنياها، حياتها المليئة بالضياء تلمع كالماس، مُلونةٌ هي بمشاعلِ الفرح، ومزدانةٌ بعروشٍ مِن السماحة.

وقفتُ ممسكة بقوةٍ في عمودٍ حديدي أعلى قمة أطول برج في المنطقة كما يعرفه الناس، وقفتُ أتحدى الحزن والخوف والارتباك، والأرضُ في الأسفل تبدو كهوةٍ سحيقة متوغلةً في البعد.

جلست «مايا» على أرضية القمة، وأخذت هاتفها المحمول، لم يكن ليلتقط أي إشارة، لم يخبو حماسها فقالت وهي تناولني الهاتف:

- التقطي لي بعض الصور، وسوف أحملها على صفحتي الشخصية عندما نعود.

أخذتُ الهاتف من يدها وشرعتُ في التقاط الصور، لكنها استوقفتني مرة أخرى:

- الصور تبدو عادية، خالية من الغرابة والحماس الذي أتوق إليه؟!

- أي غرابةٍ تبحثين عنها، أهناكَ أغربُ من المكان الذي نحن عليه؟

- هذا بالضبط مقصدي.

أعطتني الهاتف مرة أخرى، ثم في لحظةٍ غيرت من وضعية جسدها حيثُ ألقت بهِ في الهواء يتدلى كثمار الفاكهة على الغصون، وأحكمت قبضتها في سياجِ حديدي قصير يلتفُّ حول قمة البرج، صرختُ بها:

- ما هذا الهراء الذي تفعلينهُ، ليست لعبة، اصعدي هيا!

- لا تضيعي الوقت، هيا صوريني في أكثر من موضعٍ.

كانت تضحك بعدم اكتراثٍ وكأنَّها لا تفعل شيئًا، وأمام عندها وإصرارها لم أجد بُدًّا إلا مجاراتها، فتحتُ الكاميرا وبدأتُ في التقاط الصور لها، فأخذت تُعدِّل من وضعيتها في الهواء، فتحت ذراعها الآخر وأطلقته في العنان، فيما أفرجت ما

بين ساقيها، كانت تنظر لأعلى والهواء يلاطمُ جسدها، وكأنها على سطح الماء تطفو.

شعرتُ بدبيب خوفٍ يهلكني معهُ حد السقوط، كالمصاب بدوارٍ لا يفصلهُ عن التداعي إلا شعرة تحملهُ على البقاء متماسكًا.

ضبطتُ وضعية الإلتقاط وإذ فجأة انكسر السياج الحديدي فانزلقت يدها، تراجعت للخلف وأنا أغمضُ عينيا بكلتا يداي ولم يزل صوت صراخي يأتيني صداه، أما صدى صراخها فقد كان يملأ جنبات المكان، اعتراني هلعٌ هزَّ كامل كياني لم أستطع معه النظر لمَ حلَّ بها.

وقفتُ أرتجفُ ارتجاف الورقةُ اليابسة في مهب ريحٍ عاتية، أجهشُ بالبكاء فزعةً وفرائصي ترتعدُ هلعًا.

مططتُ رأسي بعد أن استجمعتُ قليلا من قواي، لأرى ماحلَّ بها بعدما سكنَ صوتها فجأة، وجدتها وقد تشبثت بطرف السلم الحديدي الذي كان مثبتًا عليهِ ما يشبه جهاز المايكروفون، تهللتُ فرحةً لمرآها سليمة، وناديتها بأعلى صوتي، كانت قد فقدت الحس والحركة فغابت عن الوعي!

نظرتُ إليها بعينين داميتين، فأنا على حافة البرج أقف، يفصلني عنها حوالي عشرين مترًا تقريبًا، ولا يوجد ما يصلني بها بعدما انكسر السلم الحديدي.

ما الذي فعلتهُ بنفسي وبها، ها نحن الإثنتين عالقتين هنا!

أخذتُ هاتفها وبحثتُ عن شبكة لأستنجد بأحد، لكن دونما جدوى، جلستُ أبكي وأنا أفرك الأرض بقدمي، تارةً أتابعها علَّها تفيق، وتارة أبحثُ في الهاتف عن أي جديد!

عندما هبطَ المساء أتاني أناتُ صوتها من بعدٍ سحيق، فناديتها بأعلى صوتي، لكنها كانت تئن وتئن!

فجأة...

تردد في الأفق بضعة صرخاتٍ صداها المرعب أيقظ الهلع من مرقدهِ مرةً أخرى، فأتاني صوت أجش من بعيد يستوضح الظهور، يتردد في الأرجاء ويردد باستمرار «الويل لمن اقترب أرضَ النسيان، فأنتم من دنستم هذا المكان»

أغلقت عيني هربًا فقد سرت بجسدي قشعريرةٌ غريبة لم أألفها من قبل، وكأنني لأول مرة أتذوق

فيها طعم الخوف، كان كالعلقم لا يتحمل مذاقهُ إنسان، وكالنار يستشري فيهلك كائنًا من كان.

بحثتُ كالمجنونة في حقيبة يدها علّي أجد شيئًا يعيننا على نائبة الدهر تلك، لم يكن بها سوى أدوات التجميل الخاصة بها، وجزء مقطوع من جريدة قديمة، تبًا، ما الذي يحدث هنا؟!

كدت أصاب بنوبةٍ فأنا الهالكةُ لا محالة!

راعني عنوان الخبر المكتوب في الجزء المقطوع من الجريدة «أرض النسيان» يا إلهي، التقطتهُ في عجالةٍ وبدأت أقرأ ما ورد بالخبر...

(الوباء ينتشر كالنار في الهشيم، والجائحة تقضي على الأخضر واليابس، وأهالي المنطقة يسارعون في إخلاء المدينة بأكملها بعدما التهم الطاعون أكثر من نصف عدد السكان!

القتلى في كل مكان، هنا على أرصفة الطرقات، وأمام مداخل المنازل بكل ركنٍ وزاوية داخل المستشفيات، استشرى المرض ولم ينجو منه أحد.

عزوف الناس عن تلك المدينة الضائعة بعدما اجتاحها الطاعون لمدة عشر سنوات، جعل منها المدينة المخيفة، لا أحد يطأ أرضها ويخرج منها

حيًا، يقال عنها أرض النسيان وحارسها هو الشيطان)

يا إلهي أكانت تعلم؟!

نما لمسمعي صوتٌ يشبهُ نعيق الغراب، فاعتراني خليطٌ عجيب من الرعب والفزع تموجُ بهِ روحي التي أوشكت أن تتخلى عني هي الأخرى، نظرتُ شاخصةً صوب الصوت، إذ بطائرٍ أسود اللون قد أتى من الأسفل حيث الظلام الدامس والصمت المطبق، لا يخبر عنه سوى ذاك الشرر المتقد في حدقتيه.

بدأ ينعقُ ألى أن اقترب من «مايا» وفي لمح البصر، اخترق صدرها لينتزع قلبها الذي ما زال ينبض في قبضته، تحجرت الدموع في مقلتي، وتسمرتُ لا أنبسُ ببنت شفة، فبت كما الذي لا يعرف سبيلا للكلام!

تحولت المنطقة أسفل البرج لأشلاء جثث متناثرة تتقاطر منها الدماء، وصدى صرخاتهم يتردد صداه في الأفق.

حملها الكائن بمخالبهِ وصعد بها إلى أعلى منطقة مسموحة له في السماء، تركها ليسقط جسدها

صريعًا نحو الأرض، وظلّ يرقبها من بعيد، فجأة ظهر طائرٌ آخر فتكَ بها هو وعدد لا بأس به، دقائق معدودة واختفوا أسفل البرج!

وكأن الظلام قد ابتلعهم!

حوصرتُ بخيالاتٍ مخيفة، وأصوات تتردد كفحيح الأفاعي، أرقبُ تحركاتهم الخفيّة، وأسمح حسيسهم قريبًا من أذني، أعلم يقينًا أنني وشيكة الوقوع في ذات المصير، فها هو الطائر في السماء لا زال معلقًا هناك في الهواء، ينظر صوبي بترقبٍ، كأنه يتحين اللحظة المناسبة للفتكَ بي.

لم يمهلني القدر لحظات أطول فكان رؤوفًا بي، ها هو الطائر صوبي يحملق، في طريقهِ نحوي بسرعتهِ الفائقة، مصوبًا تجاهي مخالبهُ الحادة، جلست متكومةً على نفسي، لم أشعر سوى بألم لكزاتٍ تصيبني في كل جزء من جسدي، ضربات تلو أخرى، كلما حاولت الهرب من ألمها حتى أجدني منغمسة فيها رغمًا عني، أريد الخلاص، لم أعد أتحمل، قاومت وقاومت لم أكن لأفلت روحي بتلك السهولة، فتحت عيناي برويةٍ لأرى ما يدور حولي، كنتُ ملقاةً على أرضٍ خشبية، ومن حولي

عدد لا بأس به من الطلبة، فأدرتُ عيناي بكامل المكان، إنها المكتبة!

جلست أتحسس جسدي وأنا مشدوهةٌ لا أعلم أين أنا وأين كنت، فجاة

مدت «مايا» يدها بكوبٍ مملوء بالدم.

- دم!

صرختُ فَزِعة لمرآها حيَّة، ما الذي يحدث، ساورتني الأسئلة والهواجس داخل عقلي، وطفقت تظهر على ملامح وجهي

فظهرت علامات العجب على قسمات وجهها وقالت:

- أين الدم، لا تخافي لم تصابي بأية جروح!

بصوتٍ متحشرجٍ أجبتها:

- وما هذا الذي بيدكِ؟

- إنه كوبًا من عصير التوت البري.

- ماذا حدث؟!

- اهدئي قليلا وسأشرح لكِ.

ناولتني كوب العصير فارتشفتُ منه بضعة رشفاتٍ، وبدأت أتنفس بانتظام، لأعلم ما حلّ بي ودار، قالت وهي تمسح على وجهي بمنديلٍ أبيض:

- كان ورائي محاضرة أخيرة، فطلبتُ منكِ أن تنظريني في المكتبة، لو كنت أعلم أن الكهرباء ستنقطع، لم أكن لأطلب منكِ انتظاري هنا، فأنا أعلم جيدًا أنكِ يضيق صدركِ في الظلام، وقد تتعرضين للإغماء كما حدث لكِ!

تلجلجتُ قليلا ولم أفهم ما كان يدور، هل سقطت في هوةٍ من الظلام فهيء لي الأمر، أم أنني سقطت في حلم أو كابوس، ليكن ما يكن، المهم أنني بخير، وهي أيضًا بخير.

- لنخرج من هنا فورًا.

قلتها وأنا أحاول النهوض، فلاحت عيني صوب حقيبتها المفتوحة، ووقع منها جزء من جريدة مكتوب فيه «لا تقربوا أرض النسيان، فالويل كل الويل لمن يفعل».

للكاتبة/ أميرة بدر